

الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم – أنموذجا -

The scientific movement in the Islamic Maghreb, Abd al-Wahhab bin Abd al Rahman bin Rustam a model

رضوان سحوان*، جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، RADHOUANE.SAHOUNE@UNIV-TIARET.DZ

المؤلف المرسل: رضوان سحوان	تاريخ النشر: 31/12/2023	تاريخ القبول: 08/12/2023	تاريخ الارسال: 26/11/2023
----------------------------	-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يتناول البحث الحركة العلمية في المغرب الأوسط بقيادة الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم القائد الفذ و الرجل الحكيم ، الذي أرسى دعائم الدولة الرستمية بفضل حنكته السياسية و ما تميزت به شخصيته القوية من ذكاء وورع و تقوى ، يهدف البحث إلى إبراز المكانة العلمية للقائد المغوار عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم في قيادته الحكيمة لبناء و تقوية الدولة الرستمية ، و تعزيز مكانتها بين مختلف الدولة أنداك ، لقد شهدت الدولة الرستمية بقيادة الإمام عبد الوهاب ازدهارا علميا و دينيا لا نظير له ، نتج عنه تلاحم الشعب مع قائده بفضل حنكته السياسية و دعوته إلى نشر تعاليم الدين الإسلامي بين مختلف الشعوب و الدول .

الكلمات المفتاحية: (عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ، الدولة الرستمية ، حياته ، نشأته ، مكانته العلمية).

Abstract :

The research deals with the scientific movement in the Central Maghreb under the leadership of Imam Abd al-Wahhab bin Abd al-Rahman bin Rustum, the outstanding leader and wise man, who laid the foundations of the Rustamid state thanks to his political astuteness and what distinguished his strong personality of intelligence, piety . The research aims to highlight the scientific status of the commanding leader. Abd al-Wahhab bin Abd al-Rahman bin Rustum, in his wise leadership to build and strengthen the Rustamid state, and strengthen its position among the various states that govern you. The Rustamid state under the leadership of Imam Abd al-Wahhab witnessed unparalleled scientific and religious prosperity, which resulted in the people's cohesion with their leader thanks to his political acumen and leadership. His call to spread the teachings of the Islamic religion among various peoples and countries.

Keywords: (Abd al-Wahhab bin Abd al-Rahman bin Rustam, the Rustamid state, his life, upbringing, and academic standing).

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تميز عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بجملة من الصفات الراقية و التي مكنته من قيادة الدول الرستمية ، فقد أسهم إلى حد بعيد في تقوية دولته من خلال انفتاحه على الثقافات المجاورة ، إن من أهم ما تميزت به شخصية عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم ذكائه و قوة شخصيه و ثقافته الواسعة و اتقانه للغات كثيرة كالعربية و البربرية و الفارسية ، إضافة الى ما تميز به من الورع و التقوى و السعي لبلوغ الأفاق العالية من الحضارة و العلم و التقرب إلى الله ، كل هذه الصفات النبيلة شفعت له بأن يكون قائدا مغوارا و مقاتلا باسلا تم تزكيته لقيادة الدولة الرستمية و تقوية شوكتها ، كان لأبيه عبد الرحمان الفضل في بناء شخصيته و هو ما ساهم في تقوية الدولة الرستمية و ازدهارها عليما و ثقافيا فما مكانة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم العلمية ؟ .

2. نشأة الدولة الرستمية :

شكلت الترنحات السياسية في المغرب الغربي إلى بروز عدة طوائف دينية ساهمت في تشكل مغرب عربي جديد فقد " شهد المغرب الإسلامي أحداث سياسية كبرى ، كان لها انعكاسات شديدة الوقع على مجرى الأحداث السياسية ، فمنذ نهاية القرن الأول الهجري و بداية القرن الثاني ، هذه الفترة تعد المنعرج الحاسم في تاريخ الدولة العربية الإسلامية ككل بشقيها الشرقي و الغربي ، أين كان الخوارج بالمشرق مضطهدين من طرف الخلافة الأموية التي كان ولايتها بالمرصاد محاولين قطع شأفتهم ، مضيقين الخناق عليهم فاختراروا الفرار و البحث عن مكان بعيد عن اعين الامويين " (مسعودة، 2022، صفحة 233) .

و بسبب كل هذه الاختلافات الطائفية " فمكا كان لهم سوى اللجوء الى ارض المغرب التي كانت تمثل الارض الخصبة لدعواتهم و ترجع بداية تواجد الخوارج بالمغرب الى رجلين هما سلمة ابن سعد حامل المذهب الإباضية و عكرمة مولى عبد الله بن عباس الذي جعل معه المذهب الصفرية ، و هكذا منذ العقد الثاني من القرن الثاني الهجري الى نهاية القرن الثالث الهجري ، تعد مرحلة هيمنة الخوارج ، و هي نفسها الفترة التي انفصل فيها المغرب الاسلامي سياسيا عن المشرق ، فنجم عن ذلك نشوء دويلات مستقلة في تسيير شؤونها عن مركز الخلافة بالمشرق " (مسعودة، 2022، صفحة 233) .

أدت التنازعات الدينية إلى بروز العديد من الحكام لتأسيس الدولة الرستمية فقد " تعاقب على حكم الدولة الرستمية في العاصمة مدينة تاهرت منذ نشأتها حتى سقوط ثمانية أئمة ، كان لهم دور بارز في الكثير من الأحداث التي مرت بها دولتهم ، و في مقدمتهم عبد الرحمان بن رستم مؤسس الدولة ، و قد قادها بكل حنكة و خبرة ، و سياسة حكيمة ، و تولى الحكم أكثر من عشر سنين (160-171هـ/777-788م) و يعود في أصوله إلى بلاد فارس ، و قد ذكر المؤرخ اليعقوبي ذلك لا سيما و أنه كان معاصرا للدولة الرستمية فقال " و المدينة العظيمة مدينة تاهرت ، جليلة المقدار ، عظيمة الأمر ، تسمى عراق المغرب ، لها أخلاط من الناس ، تغلب عليهم قوم من الفرس ، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي " (الشمراي، 2021، صفحة 319) .

كان المنعرج الأساسي في تشكل الدولة الرستمية هو إنتقال عبد الرحمان بن رستم إلى المغرب الأوسط إيدانا بتشكيل هذه الدولة فقد " كان انتقل عبد الرحمان بن رستم الى المغرب الأوسط ايذانا بظهور الدولة الرستمية التي اصبحت قوة جديدة لها اثرها البالغ في تشكيل احداث المغرب كله ، الى نهاية القرن الثالث الهجري ، و الكلام عن الدولة الرستمية ، يقتضي الكلام عن عبد الرحمان بن رستم مؤسسها الذي اثبتت المصادر انه فارسي الاصل ، و ان اختلفت هذه المصادر فيما بينها في تحديد طبيعة هذا الاصل الفارسي " (عزب، 2013، صفحة 61)

تم الإتفاق على مبايعة عبد الرحمان بن رستم لتولي مقاليد الحكم بالدولة الرستمية " بحيث تعد الدولة الرستمية اول دولة مستقلة قامت بالمغرب الاسلامي سنة 160هـ/777م على يد بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الفارسي ، و قد تمت مبايعة عبد الرحمان بن رستم سنة 161هـ/779م و قد وافق على مبايعته أهل الحل و العقد و اجماع كافة مشايخ القبائل " (مسعودة، 2022، صفحة 233).

3. حياته :

تولى عبد الوهاب بن عبد الرحمان مقاليد الحكم لتمييزه وقوة شخصيته فقد كان " عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم الذي حكم خلال الفترة (171-211هـ/788-826م) كأبيه عبد الرحمان في قوة الشخصية و في العلم و الذكاء و الورع و التقوى و في الحزم و الدهاء و في الطموح و حب الكمال و الغرام بحب المعالي و في الغيرة على الدولة و على الإمامة العادلة " (الشمراي، 2021، صفحة 310).

و يعود أصل "عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بن هرام بن دوستار بن سابور بن بابكان بن سابور ذي الاكتاف الفارسي امير المؤمنين ، الامام الباسل الشجاع التقي اللين الحلیم ، كناه المراكشي بأبي الوارث " (سمية، 2019، صفحة 157).

كان عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم يجيد عدة لغات فقد " أتقن اللغات العربية و البربرية و الفارسية و درس علوم الدين و اتصف بجمال الاخلاق ، و قويت الدولة الرستمية في عصره وكانت ملكا ضخما ، و سلطانا قاهرا ، قد اجتمع له من امر الاباضية و غيرهم مالمهم يجتمع للإباضية قبله ، ودان له مالم يدن ليغره ، و اجتمع له من الجيوش و الحفدة مالم يجتمع لأحد من قبله " (الشمراي، 2021، صفحة 310).

و يعود ميلاد أبوه " عبد الرحمان بن رستم في العراق ، كان أبوه رستم عنده من العلم ان ذريته ستلي ارض المغرب أقبل رستم متوجها من العراق و معه ابنه عبد الرحمان و زوجته ، ليتوصل الى هذه الارض الموعودة ، اما الدرجيني فيذكر بأن ابوه كان منجما " (نصيرة، 2021، صفحة 04).

تلقى عبد الوهاب في نشأته خصال أبيه عبد الرحمان فقد ترعرع " و نشأ عبد الوهاب في كنف أبيه عبد الرحمان ، فأخذ معه حميد الخصال و جميل الأخلاق و تعلم علوم الدين و اللغة على يده ، فكان عالما يستعمل اللغة العربية و الفارسية البربرية ، و قد شهد فتح طرابلس و القيروان و حصار طنبنة ، فاكتسب خبرة سياسية و عسكرية ، و ربط نفسه بقبيلة زناتة برباط النسب ، فكان صهره جaron بن القمري الزناتي ، كان أحد المترشحين

للإمامة " (سمية، 2019، صفحة 157). وقد " كان عبدالرحمان بن رستم يحمل شخصية الداعية القوي ، التي تستطيع ان تستقطب حولها المؤيدين بسرعة " (الحريري، 1987، صفحة 91) .

4 . مكانته العلمية :

تميز عهد الدولة الرستمية بالتفوق و الازدهار العلمي و الثقافي لذلك " يعتبر القرنان الثاني و الثالث للهجرة انطلاقة حقيقية في ميادين الفكر و الثقافة و العلوم المختلفة بالبلاد العربية الإسلامية ، مشرقها و مغربها ، اذ في هاذين القرنين برز العلماء في العلوم النقلية من تفسير و حديث و فقه و علوم عقلية بدأت تتطور و تنمو كلما تقدمت الأيام ، و اخذت الحياة الفكرية في البلاد العربية الاسلامية تتبلور ، لتأخذ شكلها التام في القرنين الثالث و الرابع الهجري " (بكير، 1993، صفحة 261) .

و يعود مصدر ثقافة " عبد الوهاب بن عبدالرحمان ، تلقى العلم بالقيروان ثم تهرت عن أبيه عاصر الربيع بن حبيب امام الاباضية بالبصرة بعد أبي عبيدة و جابر بن زيد ، عالم متضلع و قطب ظاهر و حاكم ، من أكبر علماء زمانه وقرأ أربعين بعيرا من الكتب من البصرة ، فلما تصفحها ، وقرأها و أتمها قال : الحمد لله الذي علمني كل ما فيها من قبل ، و لم أستفد منها إلا من مسألتين لو سئلت عنها لأجبت فيها قياسا " (سمية، 2019، صفحة 164) . فقد " كان بيت الرستمييين بيت العلوم و جامعا لفنونها من علم التفسير و الحديث و الفرائض و الأصول و الفروع و علم اللسان و علم النجوم " (تالية، 2011، صفحة 65) .

إهتم بالعلم كثيرا فقد " أخذ العلم بالقيروان ثم بتهرت عن أبيه و غيره من حملة العلم ، له حلقات علم بتهرت و جبل نفوسة ، تخرج على يديه خلق عظيم ، كإبنة أفلاح ، و غيره بلغت الدولة الرستمية في عهده مرتبة عالية ، و قمة حضارية في الداخل و الخارج كانت له علاقات مع الامويين و الاغالبة و المدرايين ، و دامت امامته سبعا و ثلاثين سنة ترك لنا نوازل نفوسة و روايات و مسائل في كتب السيرة و الفقه " (سمية، 2019، صفحة 164) .

إنكب الرستميون على تقوية حضارتهم و دولتهم بتشجيع الإنفتاح على الثقافات الوافدة فلم يكن الرستميون منغلقيين على حضارتهم فقد " عمل الرستميون على توثيق علاقاتهم الثقافية بمختلف الهيئات العلمية و الاحتكاك بمراكز الثقافة في العالم الاسلامي ، فموقع تهرت مكنها من ان تلعب دور الوسيط الثقافي بين حواضر و مراكز الاشعاع الحضاري في المغرب الاسلامي بالشكل الذي اثمر علاقات ثقافية مع الدول و الامارات المجاورة ، فرغم الصراع السياسي بين الاغالبة و الرستمييين و الاختلاف المذهبي بين القيروان و تهرت ، لم يكن حائلا دون اقامة جسر من التواصل الفكري و الثقافي بين الحضارتين ، فقد تواجد أهل القيروان بتهرت بالمسجد الخاص بهم و رحبتهم ، و ساهموا في الحياة الفكرية للدولة ، و دخلوا في مناظرات مع علماء الاباضية و غيرهم (تالية، 2011، صفحة 67) .

ترك عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم نوازل فقد كان " للإمام عبد الوهاب كتاب نوازل نفوسة و هو مجموع الفتاوي الشرعية ، كان علماء نفوسة يستفتونه فيها ، انه لغزارة علمه مرجع للعلماء و اسلوب

الكتاب يدل على فصاحة الامام و تمكنه في العربية و ابوابه تدل على عمق الفهم و سعة الباع في علم الشريعة ، و لا يزال هذا الكتاب القيم في مدن وادي ميزاب و في جبل نفوسة و جربة " (سمية، 2019، صفحة 165) .

5. مؤلفاته :

ترك عبد الوهاب ارثا علميا كبيرا نظير اهتماماته بالميدان العلمي و الثقافي و الديني و هذا ما جعله متميزا بين بني جلدته " لقد كرس الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمان حياته لنشر المذهب الإباضي حيث قضى سبعة سنوات بجبل نفوسة و هناك تلقى عدة مسائل من اهل الجبل فقام بدراستها و الاجابة عنها ، و بعدها الف كتابه المشهور عرف بمسائل نفوسة او نوازل نفوسة و عرف عن الامام انه كان كثير المطالعة " (سمية، 2019، صفحة 166) .

6. دور المساجد في نشر الوعي الديني :

يعتبر المسجد اللبنة الأساسية في نشر الوعي الديني عبر كافة ربوع الدولة الرستمية بحيث " يمثل مسجد تيمرت مؤسسة علمية يلتقي فيها عامة الناس للعلم ، فكان النواة الأولى لتعليم شؤون الدين من قرآن ، و حديث و تعلم العلوم العربية ، فإمامة عبد الوهاب الذي تذكر المصادر أنه قضى سبع سنوات بنفوسة يدرس العلم بإحدى مساجدها و يعد المسجد من أهم دور العلم الذي تعقد فيه حلقات العلم ، و اشتهرت العاصمة الرستمية بالعديد من المساجد في مقدمتها المسجد الجامع الذي يعرفه البياروني و هو مسجد الإمام " (مسعودة، 2022، صفحة 240) .

تنافس الرستميون على نشر علومهم الدينية بين مختلف الشعوب " إن الرستميون و بحكم ثقافتهم الواسعة ، شجعوا الحركة الفكرية ، فنشطة تيمرت في هذا الميدان ، كما نشطت في الميادين الأخرى و طار صيتها في الافاق مباشرة بعد تعميرها حتى دعيت عراق المغرب و بلخ المغرب ، الحاقا بها في المعارف و العمران و الحضارة ، و اذا كانت تيمرت قد برزت كمركز ثقافي مشهور في المغرب العربي ، خلال القرن الثالث للهجري ، فإن ذلك راجع لكونها عاصمة دولة مستقلة ، عرقت نشاطا باهرا في مختلف الميادين ، اضافة الى بعض المراكز الثقافية التابعة لها ، و كان ابرزها جبل نفوسة و قراه ، و يعتبر كهف العلماء ومقصدهم و يشكل جزءا كبيرا من التاريخ الثقافي في المغرب " .

7. دور الكتاتيب في رفع راية العلم :

للكتاتيب الفضل الكبير في نشر القرآن و السنة النبوية و تعليم الأطفال أصول الدين الإسلامي بحيث " تعد الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية التي ظهرت مع ظهور الإسلام ، و كان هدفها التركيز على تحفيظ القرآن ، و الكتاب مقر بسيط مفروش بالحصير ، يتربع فوقها التلاميذ و يعلوهم المعلم بمصطبة فوقها سرير أو كرسي ، فكان الأطفال يتلقون فيها تعليمهم الابتدائي ، المتمثل في تلقي مبادئ القراءة و الكتابة الحساب ، تلاوة القرآن و حفظ بعض الآيات و السور القصيرة ، و لم تقتصر مهمة الكتاتيب على تحفيظ القرآن بل تتعداه الى تدريس مبادئ الفقه و الحديث و النحو و غيرها " (مسعودة، 2022، صفحة 240) .

8. إزدهار العلوم التطبيقية (الحساب و الفلك) :

لم يتوفق اهتمام الرستميون بالجانب الديني فقط بل تجاوزوا ذلك الى البحوث العلمية و الطبية و غيرها فقد " كان الرستميون من الذين برزوا في الحساب ، اذ يروي زكريا عن الامام افلح انه بلغ في حساب الغبار و النجامة مبلغا عظيما" (بكير، 1993، صفحة 374).

و من بين ما اهتموا به في عصرهم الحساب " و حساب الغبار نسبة الى الارقام الغبارية ، و سميت بالغبارية ، لأن أهل الهند كانوا يأخذون غبارا لطيفا و يبسطونه على لوح من خشب أو غيره و يرسمون عليه الأرقام التي يحتاجون اليها في عملياتهم الحسابية و معاملاتهم التجارية ، و الأرقام الغبارية هي الأرقام المستعملة اليوم بالمغرب العربي مثل (1 ، 2 ، 3) انتقلت الى الاندلس ، و منه دخلت الى اوروبا ، فمعرفة فيما بعد بالأرقام العربية " (بكير، 1993، صفحة 374).

9. خاتمة :

لقد تمكن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بفضل ما تميزت به شخصيه الرافية و القوية و مكانته العلمية من تقوية الدولة الرستمية و المساهمة في نشر العلوم و المعارف سواء كانت دينية أو دنيوية فقد حقق ازدهارا لا نظير له في ميدان التفتح الثقافي و العلمي و الاهتمام بميدان الطب و الفلك و الحساب إضافة إلى نشر تعاليم الدين الاسلامي و نشر الثقافة الاسلامية و التسامح الديني ، من خلال إنتشار الكتابات و المساجد عبر جميع نواحي الدولة الرستمية كل هذا ساهم الى حد كبير في تقوية الدولة الرستمية و انتشار صيتها بين الامم و الشعوب .

10. قائمة المصادر و المراجع :

- أمل بنت صالح الشمراني. (2021). عوامل ضعف و سقوط بني رستم في المغرب الأوسط سنة 296هـ-908م. مجلة وقائع تاريخية.
- رقاد مسعودة. (2022). الطب في الدولة الرستمية . مخبر الدراسات التاريخية و الأثر في شمال افريقيا .
- سعدو تالية. (2011). الحركة الفكرية بالدولة الرستمية و اسهام المرأة الإباضية فيها . العصور الجديدة
- صديقي نصيرة. (2021). الامام عبد الحمان بن رستم من اللجوء السياسي الى بناء الدولة المستقلة . مجلة الواحات للبحوث و الدراسات .
- قرواش سمية. (2019). إسهامات علماء تهرت في الحركة العلمية ببلاد المغرب الإسلامي 160هـ-260هـ 777م-909م . سيدي بلعباس : جامعة الجيلالي اليابس .
- مجاز ابراهيم بكير. (1993). الدولة الرستمية . غرداية : جمعية التراث .

محمد زينهم محمد عزب. (2013). قيام وتطور الدولة الرستمية في المغرب . القاهرة : دار العالم العربي .

محمد عيسى الحريري. (1987). الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي. الاسكندرية: دار القلم .